ذم الكِبر فی القرآن الكريم، دراسة علمية منهجية

Anti-Arrogance in Holy Quran

الدكتورة عمرانه شهزادي

الأستاذة المساعدة في قسم اللغة العربية, بجامعة الكلية الحكومية للبنات, فيصل آباد

Abstract:

"According to the teachings of Holy Quran everyone is nothing; everybody is from dirt and will return to dirt. All Almighty is custodian of all the basic needs of mankind for sustaining his life. Arrogance is a state in which one feels that he has special place. Addiction of this habit makes him unable to accept reality about him. This situation is taken him from him and he left to only use imagination which is disliked by Allah Almighty clearly. Arrogance are warned by Allah Almighty several punishments in this world and hereafter because Arrogance is a reason behind him many sins that man commits all these are mentioned in Holy Quran several times having different shades of meanings, this condition shown by the people in their words, actions and life style. This article will shed light the causes and abuses of this curse and declared the cure of this habit in the light of Holy Quran verses."

Keywords: Anti-arrogance, Holy, Quran, Allah, Almighty

"تحدث القرآن الكريم عن الكثير من المواضيع التی لاحصرلها فی شتی امور الحياة۔ وذلک لحاجة الانسان الما سة الی التعرف علی هذه المواضيع بسبب اهميتهن فی شوون الحياة، ومن هذه المواضيع موضوع التكبر ويستعمل الكلمة Arrogance فی اللغة الانجليزية فی هذا المعنی ، والمرادبه بطر الحق وغمط الناس، والتكبر هو احد الاخلاق الذميمة التی يبتلی المرء، نقرها فی تاريخ الانبياء وبداية خلق الانسان وهذا الموضوع ذات صلة كبيرة لحياة الانسان اذا انه السبب الحقيقی للمساوی الاخلاقية كلها لظلم وطول الامل والعصيان۔ كان لا بد دراسته لمعرفة انواع واسباب الوقوع فيه۔ واليوم نری ان مسئا لة الا ستكبار لها الدور الهام فی خلق الاجواء الفاسدة وزيادة المفاسد الاخلاقية والاجتماعية فی العالم والمجتمعات البشرية المعاصرة وتعد بحق البلاء الكبير علی واقع الانسانية المعاصرة والحضارة البشرية الفعلية فی ايامنا هذا لا نجد صدی واسعاو تجاربا من قبل المفكرين والمصلحين فی اصلاح هذا الخلل الكبير الذی يعترض له المجتمع البشریٰ من جراء هذه الصفة الرذيلة۔ فی هذه المقالة يحاول الباحث ان يلقی الضو علی الاحكام الا لٰهية عن Anti-arrogance وصور من الكبر الجديد

وحل المشكلات الزمنية في عصرنا هذا اللواتي يواجهون المسلمون في كل انحاء العالم الاسلامي من جانب اخوهم المسلمين والعنف من الاعداء المتكبر المسلم من هدى القرآن الكريم وكيف يمكن لنا ان نتحذر من الاستكبار والعواقب الوخيمة المرتبة وكذلك المشكلات البشرية تزامنت ومتر تبت على طول التاريخ البشرىٰ وتاثير هذه الصفة الرذيلة في تقدم الانسانية وتكامل الانسان وما هي التدابير التي تتغلب على تدمير الاخلاق ويكون المجتمع البشرىٰ كما يريد القرآن ـ"

الكبر لغة: ماخوذة من مادة ك-ب-ر التي تدل على خلاف الصغر، والكبر: العظمة[1] وقال ابن منظور الافريقي الكبر بالكسر: الكبرياء، والكِبر:العظمة والتجبر:هي عبارة عن كمال الذات ولا يوصف بها الا الله تعالى ـ[2]

اصطلاحاً:

هو بطرالحق وغمط الناس ـ وعند الامام الغزالي:هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير ـ

وقال ايضاً: الكبر : حالة يتخصص بها الانسان من اعجابه بنفسهٖ وان يرى نفسه اكبر من غيره ـ[3] وقال التهاوى في كتابهٖ كشاف اصطلاحات الفنون: الكبر هو: جهل الانسان بنفسهٖ وانزالها فوق منزلتها اما المكابرة فهي المنازعة لاءِ ظهار الصؤب ولا لاء لزام الخصم ـ[4]

وقال الجاحظ: الكبر هو استعظام الانسان نفسهٖ واستحسان مافيهٖ من الفضائل والا ستهانة بالناس واستصغارهم والترفع على من يجب التواضع له ـ

وقال الراغب الاصفهاني في كتابهٖ "المفردات".....كبير فالكبر والتكبر والاستكبار تتقارب فالكبر الحالة التي يتخصص بها الانسان في اعجابه نفسهٖ.....وذالک ان يرى نفسه اكبر من غيرهٖ واعظم ـ[5] وقال الكفوى: التكبر: هو ان يرى المرء نفسه اكبر من غيرهٖ والاستكبار طلب ذالک التشبع وهو التزين باكثر مما عنده ـ وعند الرجوع الىٰ معاجم اللغة العربية تبين ان هناک كلمة الكبر ـ[6]قد، تدل على معاني عديدة منهاالتغرس،التصلف،الزهو،الفجس،الذيخ،الشمخ بالا نف الطرمحانية الخيلأ،الغطرسة ـ[7]

اما الكلمة الانجليزيه Anti-Arrogance يدل في اللغة العربيه على "ذم الكبر" المتكبر هو الذى يريد ان يكمل نقصه بطريق خاصٍ ـ عندما اى شخص ينظر اليهٖ ومن يتحدث معه فهو تعويض لنقص ماعند

الشخص۔التكبر من امراض النفسية التى ابتلىٰ الانسان منذ زمن طويل وهذا المرض نتيجة لنقص المتاعة الدينية والايمانية وعدم الثقة بالنفس وزيادة عقده النقص لدى الانسان وهذا المرض تسبب فى زيادة البغضاء فى النفوس والجسد بين الناس ۔

التكبر من الاخلاق الترذيلة الرديئة والذنوب العظيمة۔ وداء الكبر هو الذى يجعل المرء ان يعيش بالوهم بكل معانيهٖ وهو يحسب بسببهٖ فى اعين الناس عظيماً وهو عندهم حقيره ذليل لكبرهٖ۔

وقبل الدخول فى موضوع الكبر علاجهٖ واحكام الله فى تحذيرهٖ لابُدّ ان تذكر اوّلا ماهى الاسباب وانواع الكبر ومظاهر الكبر التى تؤدى الى ظهورها هذه الظاهرة الذميمة التى آثاره الكثيرة لا يمكن احصاءه،هذه العادة تختلف من فرد الى فرد وعن بيئة الى بيئة الاخرى ومن عصر الى عصر هكذا۔

للكبرقسمان رئيسان:

الكبرالظاهر : الاعمال تصدر عن الجوارح

الكبرالباطن :خُلق فى نفس الانسان

الكبر الظاهر هوالاعمال الظاہرة هى ثمرات لما فى الباطن۔ فالباطن هو الاصل والظاهر مته الفرع۔ اما السبب الذى يتعلق بالكبر الباطن فهو العُجب الذى يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد۔ والذى يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الأسباب لهذا الاعتبار اربعة: العجب والحقد والحسد، والرياء۔

اما العجب:هوالزهو بالنفس وصاحب العجب يرى نفسه اعلىٰ مرتبة۔

فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر يثمر الكبر الظاهر فى الاعمال والاقوال والاحوال۔

واما لحقد:هو ثمره الغضب وطلب الانتقام وتحقيقهٖ وقيل هو سوء الظن فى القلب على الخلائق لاجل العداوة۔

فانه يحمل على التكبر من غير عجب كالذى يتكبر على من يرى انه مثله، أو فوقه ولكن قد غضب عليه بغضبهٖ فهو لذلک لا نطاوعة نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع، فكم من رذل لا نظاوعته نفسه على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه او بغضة له ويحمله ذلک على ردالحق اذا جاء من جهتهٖ وعلى الأنفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد فى التقدم عليه ، وان علم آنه لا تستحق ذلک وعلى ان لا يستحله، وان ظلمه فلا يعتذر عليه وان جنى عليه ولا يساوى عما هو جاهل بهٖ۔

اما الحسد:هو امساک العداوة فی القلب وخفیٰ ذلک الاعتقادالی وقت امکان الفرصة الی وقال الجرجانی: الحقد هو سوء الظن فی القلب علی الخلائق لاجل العداوة ـفهو ایضاً یدعوألی جحد الحق حتی یمنع من قبول النصیحة وتعلم العلم، فکم من جاهل یشاق الی علم وقدبقی فی رذیلة الجهل لا ستکافهٖ ان یستفید من واحدٍ من اهل بلده وأقاربهٖ حسداً وبغیّا علیه ؟ والحسد یبعثه علی ان یعامله بأخلاق المستکبرین وان کان فی باطنهٖ لیس یری نفسه فوقه، وهو یعرض عنه ویتکبر علیه مع معرفتهٖ بأنه یستحق التواضع ـ

واما الریاء:

فهو یدعوایضاً الی اخلاق المتکبرین حتی ان الر جل لیناظر من یعلم انه افضل منه ولیس بینه وبینه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولکن یمتنع من قبول الحق منه ولا یتواضع له فی الاستفادة خیفة من ان یقول الناس أنه أفضل منه فیکون باعثه علی التکبر علیه والریاء المجرد ولو خلا معه بنفسهٖ لکان لایتکبر علیه کأن اسم المتکبر انما یطلق فی الأکثر علی من یفعل هذه الافعال من کبرفی الباطن صادر عن العجب والنظر ألی الغیر بعین الاحتقار وهوان سمی متکبرا فلأ جل التشبه بافعال الکبر فسال الله تعالیٰ التوفیق والله تعالیٰ اعلم ـ[8]

درجات الکبر:

وقد ذکر ابن قدامة درجات الکبر قائلا:

اعلم : ان العلماء والعباد فی آفة الکبر علی ثلاث درجات:

الدرجه الاولیٰ:

ان یکون الکبر مستقراً فی قلب الانسان فهو یری خیراً من غیرهٖ الاانه یجتهد ویتواضع ، فهذا فی قلبهٖ شجرة اکبر مغروسة الا انه قد قطع أعضا نها ـ

الدرجه الثانیه:

ان یظهر لک بافعالهٖ من الرفع فی المجالس والتقدم علی الاقران والانکار علی من یقصر فی حقه فتری العالم یصعر خده للناس ـ کانه معرض عنه وفی العابد ان یعبس وجهه ویقلب جبینه کانه منزة عن الناس أ و غضبان علیهم الجبهة ولا فی الوجه حتی یعبس ولا فی الخدحتی یصعر ولا فی الرقبة حتی طأ طأ ولا فی الذیل حتی یقیم انما الورع فی القلوب أما العابد یقول فی معرض التفاخر لغیرهٖ من العباد من هو؟

وما عمله؟ ومن أين زهده ويقول انى لم افطر منذ كذا وكذا ولا أنام واختم القرآن فى كل يوم وفلان ينام ولا يكثر القرأة وما يجرى مجراه وقدير ى نفسه ضمنا، فيقول فلان بسوء فهلک ولده واخذماله ومرض أومايجره مجراه يدى الكرامة لنفسهٖ واما مباماته فهو أنه وقع مع قوم يصلون باليل وقام وضل اكثر مما كان يصل وان كانوا يصيرون على الجوع فيكلف نفسه العبر ليغليهم ويظهربه قوته وعجزهم۔

الدرجه الثالثه:

ان يظهر الكبر بلسانه كالد عاوى والمفاخرة لغيره وتزكية النفس وحكاية الاحوال فى معرض المفاخرة لغيرهٖ وكذالک التكبر با لنسب فى معرض المفاخرة لغيرهٖ [9]فى الحقيقة ليس احدا اكرم من احدٍ الابالتقوىٰ قال الله تعالىٰ :

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[10]

وكذلک التكبر بالحسب والنسب فالذى له نسب وحسب شريف ويستهز من ليس ذلک النسب وان كان ارفع منه فعلاًعملاً فيرى ان الناس لا اموال وعبيد بانف من مخالطتهم ومجالستهم وثمراته على اللسان التفاخر بهٖ فيقول لغيرهٖ يا نبطى، يا هذى، يا آرمنى من أنت؟ ومن ابوک؟ فان فلان ابن فلان؟ ولک عرق دفين فى النفس لاينفک عند نسيب وان كان صالحاً وعاقلاً التكبر بالمال ولجمال والقوة كثرة الاتباع ونحوذلک حتى ان الفاسق قد يفتخر بكثرة شرب الخمر والفجور لظنهٖ ان ذلک كمالا۔[11]

ان التكبر يظهر فى شمائل الرجل كصعرفى وجه ونظره شررا واطراقه رأسه وجلوسه متربعاً او مكتأ وفى اقواله حتى فى صوتهٖ ونغمتهٖ وفى صيغتهٖ فى الأيراد ويظهر من مشيتهٖ وقيامه وجلوسه وحركاتهٖ وسكناته وفى تعاطيهٖ لافعالهٖ وفى سائر تقلبا تهٖ فى احواله بصيرتهٖ۔ضمن المتكبرين من يجمع ذلک كله ومنهم من ينكر فى بعض ويتواضع فى بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له اوبين يديهٖ ومنها لايمشى الاومعه غيره يمشى خلفه: ومنها ان يتوفى من مجالسة المرض والمعلومين ويتماشى منهم وهو الكبر۔ ومنها ان لا يتعاطىٰ بيدهٖ شغلا فى بيتهٖ ومنها ان لا ياخذ متاعه ويحمله ألى بيتهٖ ومنها اللبأس أذا يظهر بهٖ التكبر۔[12]

انواع الكبر:

الكبر يأتى على انواعٍ هى:

- الكبر على الله

- الكبر على رسول الله
- الكبر على الخلق وعباده

الكبر على الله : هو ا فحش واعظم انواع الكبر وفد قص الله تبارك وتعالىٰ في القرآن الكريم قصص المتكبرين وما صاروأليهِ حين لم يمنعهم من الايمان بالله سوى الكبر والعجب والفخر ومن امثله الكبر على الله: قول فرعون.

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[13] وقول النمرود لابراهيم : ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾[14] وقول كفار قريش حين أمروا وابا لسجود :﴿إِذَا قِيْلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُونَا وَزَادَهمْ كَفُوراً﴾[15]

والمتكبرون يرثون خزايا من سبقهم فهم اسوأ اخلاق لاسلاف لانهم جعلواالذين لعنهم الله هم قدونهم المائلة وائماً في مخيلاتهم.

ومن آثارهِ الوقيمة المدمرة عايلى. الفرعون المختال الذى ملاء الارض كبراً بمواقفهِ واوفى دليل هوقول تعالىٰ :﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ0 أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾[16]

وقال الله تعالىٰ :﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾[17]

فقد كانت النيجة : انه مات بعد ان ادركه الفرق هو ومن معه ﴿فَانظُرْ كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِيْن﴾[18] ومنهم قارون الذى ضم الغنى عن الاصغاء للهدى وعن قول العقلاء له من قومه. ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِيْنَ﴾[19] وملا الكبر جنانه فصترح لقومه بار ماصات الهلاك وقال :﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِى﴾[20]

والنتيجة كما قال الله تعالىٰ :﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾[21] ومنهم قوم عاد الذين لجوافى طغيان الصد عن الهدى بسبب الكبر كان علاء جوانحهم قال الله تعالىٰ :﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِيْ الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِىْ خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[22] وقد آباء الله تعالىٰ بعد عتوهم وكفرهم. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيْحاً صَرْصَراً﴾[23] ولا شک ان الكبر بسبب الهلاک وكذلک العقاب اليما وقد خلفهم عبرة للمتكبرين. ومنهم صناديد قريش الذين طلبوا من رسول الله ان يُخصِصُ للكبراء مجلسا

وللفقراء مجلسا يجا لسهم فيهِ منعا من التلاق بين القريشين وذلک بسبب کبر نفوسهم۔ فنزل جبريل عليه السلام فقال: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[24]

الكبر على رسول الله ﷺ:النوع الذى هو الكفر هى التكبر على الله ورسولهِ وهولايقل فى اهمية عن الاول والاول اشد واعظم واغلظ، التكبر على الرسل من حيث تغزر النفس وتر فعها على الانقياد بشر مثل سائر الناس۔ وذالک تارة يصرف عن الفكر والاستبصار، فيقبى فى ظلمة الجهل بكبرهِ فيمتع عن الانقياد وهو ظان انه محقق فيه وتارة يمتتع مع المعرفة ولكن الاتطاوعة نفسه لانقياد الحق والتواضع للرسل كما حكم الله قولهم : ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾[25] وقولهم: ﴿ مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴾ ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾[26] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾[27] وقالوا: ﴿ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾[28] وقال فرعون فيما اخبر الله عنه: ﴿ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾[29]

وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[30] فتكبر هو على الله ورسله۔ وقالت قريش فيما اخبر الله عنهم: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[31] قال قتاده عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وابو المسعود الثقفى طلبوا من هو اعظم رياسة من النبى واذا قالوا غلام يتيم كيف بعثة الله علينا۔

فقال الله تعالىٰ: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ﴾[32] وقال الله تعالىٰ: ﴿ لِّيَقُولواْ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ﴾[33] استحقاراً لهم واستبعاداً لتقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه واٰله وسلم فكيف مجلس اليک وعند هولاء واشارو الى فقراء والمساكين فازدروهم باعينهم لفقرهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله تعالىٰ: ﴿ وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[34] وهذا الكبر قريب من الشرک على عزوجل ورسوله۔

الكبرعلى الخلق: وهذا النوع من الكبر معصية ليس كفراً والمرادبهِ احتقارهم واستعظام النفس وصور هذا النوع كثيرة منها: التكبر بالمال والجمال وا لقوة وكثرة الاتباع والانصار۔[35] واذا كان الكبر على عباده لايليق

الابهٖ ضمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذا لذى يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويتر فع عليهم يتاثرها حق الملك ان يستاثر منهم فهو منازع بهٖ فى بعض امرهٖ وان لم يبلغ درجه من اراد الجلوس علىٰ سريره والاستبدد بملكه الله فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبده من عباد الله فقد نازع الله فى حقهٖ۔

لان المتكبر اذا سمع الحق عن عبد من عباد الله الستنكف من قبوله و تسمتر لحجد هٖ ولذلک ترى المناظر فى ميادين الدين يزعمون انهم يتباهون عن اسرار الدين ، ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الآخر من القبول وشمر بجحدهٖ واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التبليس وذالک من اخلاق الكافرين والمنافقين اذا اوصعهم الله تعالىٰ۔ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[36] فكل من يناظر للغبة والافخام لا ليغتم الحق واذا ظفر بهٖ فقد شاركهم فى هذا الخلق۔ وكذٰلک يحمل ذلک على الانفة من خيول الوعظ كما قال الله تعالىٰ:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ ﴾[37]

قول ابليس على آدم:﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾[38]

تكبر الولد:الولد الذى بانف ان يسمع لابيهٖ ويخضع له لا نه تعلم اكثر من ابيهٖ هوانسان عاق بسبب التكبر على والدهٖ وحاواه النار الايعفوا عنه ويغفرله۔

تكبر الطالب:والطالب الذى يثقال على استاذهٖ لغناه او منصب ابيهٖ فهو متكبر دَنِئُ النفس۔

رئيس المدرسة: والرئيس الذى ينظر على مرؤوسهٖ نظرة احتقار ويعاملهم كعبيد هوانسان متكبر لا يساوى عندالله حشره بغيضهٖ۔

تكبر العالم:الذى ينظر من الناس الا يد خلواله ويقبلوا يديه ويحملوا احذاءه هو عالم ركبه الكبر فصار اجهل الناس خيراً منه

تكبر المدير:الذى يركب راسه متجها فى عمله الى الاخطاء الضاره بالامة واذا نصح اعرض وسخط على من نصحه، هو انسان دمر الكبر جانب الخير حتىٰ صار يستحق الذى صار عليه اسمه۔

خصال المتكبرين وسماتهم:

لايمشى الا ومعه احد يمشى خلفه رو ية نفسهٖ مميزا من الناس وليس احدمنهم مثله اسبال الثياب وسحبها فى الارض۔

التقصرفى الكلام:

عدم الاستجابة للحق ان اتى ممن يرى ان دونه لا يزور احداً تكبر ا على الناس۔ يستنكف عن جلوس احد الىٰ جانبهٖ او مشية معه لا يتعاطى بيدهٖ شغلاً فى بيتهٖ۔

والحمل متاعه من السوق الىٰ بيتهٖ۔[39] كلمة التكبر فى القرآن الكريم يدل على الاحوال العديده فلذا صاحب الكبر يسمى باسماء العديدة بحسب قاله: مثل : الطاغية، الآشوز، المشخر، السامد ، السمغدالقضاح، أصيد، أسوس ، أصور، أزور، الجفاخ المطاخ۔

اضرارالكبر:

وهناک اضرار الكبر كثيرة الذى يلحق صاحب الكبر هو لا يجد اطمينان القلب فى الدنيا ولا اى نوع من الراحة فى الآخرة اضرار الكبر مايلى:

- طريق موصل الى غضب الله وسخطه
- يورث البعد عندالله والبُعد عن الناس
- يحشر صاحبه يوم القيامة ذليلاً ويسبحن فى النار فى السجن اسمهٖ بولس۔
- يسقى صاحبه يوم القيامة من عصارة اهل النار۔
- المتكبر ينفر عنه الناس وتشميز نفوسهم منه۔
- يوى الى سخط الله وسخط الناس ۔[40]

وقدوردت فى القرآن الكريم اثنان وخمسون آية فى زم الكبر ان الآيات الوا ردة فى الكبر شانها ان تجعل السلم ذاالقلب الحى والايمان الصادق الضمير اليقظ۔ يقف صاغرا امام عظمة الله وجلالهٖ ويندم خاشعاً ذليلاً على كل مافرط منه عن كبر خيلاء ويضرع الى الله تائبا منيباء اجيا اياه ان يرحم صُغفه، ويشفى من مرض الكبر نفسهٖ ويرزقه التواضع للحق والتطا عن الخلق وان ينير له طريق الهدىٰ يرده عن اسباب الهلک والردى۔

قال تبارک الله تعالىٰ:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[41]

ويقول الله تعالىٰ:

﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾[42]

وقال : ﴿ لاَ جَرَمَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾[43]

ويقول: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[44]

وقال تعالىٰ: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[45]

ويقول: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[46]

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[47]

وقال تعالىٰ: ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾[48]

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾[49]

﴿وقارون وفرعون و هامٰن ولقد جآءهم موسىٰ بالبينٰت فالستكبروا فى الارض وما كانوا سبقين۔﴾[50]

قال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ 0 ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴾[51]

معالجة الكبر:

اعلم ان الكبر عن المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شى منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمنى بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له كما قال الامام الغزالى:

"بل يجب استئصال اصله وقطع شجرته من مغر سهافى القلب فعلى الانسان ان يصرف نصبه ويصرف ربه تعالىٰ فاذا عرف ربه علم انه لايليق العظمة والكبرياء الابالله واما معرفة بنفسهٖ ان يصرف انه يكن شيئاً ثم ينظر الى بداية الخلق ومم خلق"[52]

قال الله تعالىٰ: ﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ 0 مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ 0مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ0 ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾[53]

ان الكبر هو الاول ذنب عُصى بهٖ الله تعالىٰ فى السماء وذالک لما امرالله تعالىٰ الملائكة بالسجود لآدم فسجدؤا الا ابليس فابىٰ والستكبر [54] (البقره2 /34) وكان قياسة فاسد الما اجاب بهٖ بعد ان سأله ربه من سبب آبا ئهٖ قال(انا خير منه.....) [55] كان قياسه بسبب الجهل ويرى الشخص اليوم انه افضل من الناس واكرم فهو وهم كبير كالاِ بليس ولكن عندالله اكرم وافضل هو من كان متقى ان الله سبحانه تعالىٰ يقول بقيتهٖ ـ

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[56]

وهو يعتقد ان الله لا يحب المستكبرين وهو يختم على قلب المستكبرين بحاتم الطرد الا بعاد ونعرص علاج الكبر فى النكات الآتية۔

الكبر آفة من الآفات التى اصاب بعضاً من ابناء المسلمين مما ادى الىٰ وجود وظهور الضغائن والفرقة منهم ايضاًوايمن علاجه بالايمان الصان بالله ورسوله وبعد الايمان الصادق علمت النفس البشر به قدرها وقيمتها۔

وايضاً يجب ان يعرف الانسان حقيقة فى نفسهٖ وكيف انه كان علاماً ثم خلق من تراب ثم من نطفة خرجت من مخرج اليول ثم من علقة ثم من مضغة كما جاء فى سورة الحج: الآية الخمسة اما من اعتراه الكبر من جهته السنب فليعلم اصله وهو اصل ابيه وجده و من اعتراه بالجمال فلينظر الىٰ باطنهٖ نظر العقلاء ولا ينظر الىٰ ظاہرهٖ نظر اليها ئم ، ثم من تكبر بسبب الغنى فلينظر الىٰ مَن قبله عن الاغنياء هل ينفع الغناء عند الموت۔

ومن تكبر بسبب العلم فليعلم ان حجة الله العالم آكد على الجاهل وليتذكر ان الكبر لايليق الله سبحانه وتعالىٰ۔ صار ممقوتاً عندالله بغيضاً عنده وعندالناس والله لايحب الامن تواضع

واما العلاج العملی: فهو التواضع لله بالفعل ولساٹر المخلوق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفتاه، وحكينا ة من احوال الصالحين ومن احوال رسول الله صلى الله عليه وآلهٖ وسلم ـ

﴿انه يآ كل على الارض ويقول انا عبدآكل كما ياكل العبد﴾[57]

ولذلک آمر العرب الذين تكبروا على الله ورسولهٖ بالايمان والصلاة جميعاً۔ وقيل الصلاة عماد الدين، وفی الصلاة اسرار لا جلها عماداومن جملتها مافيها من التواضع بالمثول قائما بالركوع والسجود وقد كانت العرب قديمايانفون من الانحتاء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحنی لآخذهٖ وينقطع شراک نعله فلا يتكس رآسهٖ لاِ صلاحهٖ فلما كان السجود عندهم هو منتهی الذلة والصنعة آمرو بهٖ لتنكسر بذلک خيلاء هم ويزول كبرهم ـ ويستقر التواضع فی قلوبهم وبهٖ آمر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائماً هو العمل الذی يقتضهٖ التواضع۔[58]

وبالجملة فكل ماهو نعمة وامكن ان يعتقد كمالاً وان لم يكن فی نفسهٖ كمالاً امكن ان يتكبر بهٖ وكذٰلک الفاسق قد يفخز لكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر بهٖ لظنهٖ ان ذلک كمالاً وان كان مخطئاً فيهٖ فهذاه مجامع مايتكبر بهٖ العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدی بشئ منه على من لا يدلی بهٖ او علیٰ من يدلی بما هوا مله دونَهٗ اعتقاده وايمانا كان عنده ،و عندالله تعالیٰ كالعالم الذی يتكبر بعلمهٖ على من هو اعلم منه نظلة انه هوالاعلم لحسن اعتقاده فی نفسهٖ نسال الله تعالیٰ العون لظنهٖ ورحمة يغشیٰ علينا ويعصمنا من هٰذا العمل الصيح الذی يحبط اعمالنا انه على كل شئ قدير۔

المصادروالهواشی

1. ابن دريد،محمد بن الحسن ، جمهرة اللغة، دارالعلم للملا يين ، سنة الطبع 1987ء،ج 3، ص 249
2. ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ،دار صادر ، بيروت، بدون السنة، ج 4، ص19-20
3. الغزالی، ابو حامد محمد بن محمد، احياء علوم الدين، دارالمعرفة، ج 3، ص 17
4. محمد على التهانوی، كشاف اصطلاحات الفنون ،مكتبه لبنان، ط 1، 1996ء، ج 2، ص 1242
5. ابوالقاسم ، حسين بن محمد، الراغب ، الاصفهانی، المفردات فی غريب القرآن، دارالعلم، بيروت، 1412ح، ج 1، ص 981
6. ايوب بن موسیٰ الحسينی، معجم الكليات، مؤ سة الرسالة، ص 28

7. موصع الاكترونىhttp://wwwbingbaz/org.sa/mat/20998
8. للغزالى۔ احياء العلوم ، ج 3 ، ص 352-353
9. احياء العلوم، 135/3
10. الحجرات:13/49
11. احمد بن محمد بن عبدالرحمن، مختصر منهاج القاصدين، دار بيروت، سنة الطبع 1978، ص 229
12. المصدر السابق، ص 229
13. النازعات:24/79
14. البقره:258/2
15. الفرقان:60/25
16. الزخرف:51/43-52
17. القصص:39/28
18. القصص:40/28
19. القصص:76/28
20. القصص:78/28
21. القصص:81/28
22. الفصلت:14/41
23. القمر:19/54
24. الانعام:52/6
25. المؤمنون:47/23
26. المؤمنون:34/23
27. الفرقان:21/25
28. الانعام:2/6
29. الزخرف:53/43
30. القصص:38/28
31. الزخرف:31/43
32. الزخرف:32/43
33. الانعام:52/6
34. الانعام:52/6
35. فريق كبير، موسوعة نضرة النعيم فى اخلاق الرسول ﷺ، مطبع دارالوسيلة، طبع 1998ء، ج 1، ص 5355

36. حم السجده:26/41
37. البقره:206/2
38. ص:76/38
39. نجم الدين، ابو العباس، احمد بن عبدالرحمن ، مختصر منهاج القاصدين، مكتبه دار اللبنان، دمشق، سنة الطبع 1978ء، ص 382-383
40. موسوعة نضرة النعيم : 5380/11
41. الاعراف:146/7
42. النحل:23/16-22
43. النحل:23/16
44. لقمٰن: 18/31
45. المومن:35/40
46. المومن:60/40
47. البقرة:34/2
48. الاعراف:13/7
49. نوح:7/71
50. العنكبوت:39/29
51. المدثر:23/74-22
52. احياء العلوم:334/3
53. عبس:17/80-20
54. البقرة:54/2
55. الاعراف:12/7
56. الحجرات:13/49
57. مختصر منهاج القاصدين، ص 355
58. احياء العلوم للغزالی : 893/3